الانسانية المتضامنة

نشرنا للدكتور شميل مقالةً ملؤها علم وحكمة ونصحٌ وتحذير مثل كل ما يكتبهُ . وهي المقالة التي موضوعها « عبد الحميد في نظر الطب » المدرجة في الجزء الاخير من المنتطف . وقد ختمها بقولهِ « اما المسؤولية الحقيقية (عما حلَّ بالبلاد العثمانية في زمن عبد الحميد) فعلى الدول الراقية المسؤولية وحدها لدى الانسانية المتضامنة » فاذكرنا قولهُ هذا كلام النابغة الذبياني الذي قال

اتوعد عبداً لم يخنك امانةً وتترك عبداً ظالماً وهو ضالعُ
حملت عليَّ ذنبهُ وتركتهُ كذي العرِّ يكوى غيرهُ وهو راتعُ

وكأن الدكتور شميل نظر الى البشر كما سيصيرون في الالف السنة المنتظرة فحاكمهم الآن بما سيصيرون اليهِ بعد ازمان طوال ونسي انهم في حالهم الحاضرة ليوث غاب متوائبة

وما تجدي عليك ليوث غاب بنصرتها اذا دنَّاك ذيبُ

والشكوى الى دول اوربا ومنها شكوى الجريح الى الثربان والرخم

ثم هل اصاب الدكتور شميل في شكواهُ من دول اوربا وفي تحميلها تبعة ما حلَّ بالبلاد العثمانية من سلطانها . هل بلغ الناس في هذا العصر مبلغ « الانسانية المتضامنة » الذي يشير اليهِ . لا وابيك لا الدول متضامنة ولا العيال متضامنة ولا الاخوة متضامنون ولا يكاد المرء يأمن اخاهُ

وفارق عمرو بن الزبير شقيقهُ وخلَّى اميرَ المؤمنين عقيلُ

وكأنَّا بالدكتور شميل ابا فراس

يبغي الوفاء بدهر لا وفاء بهِ كأنهُ جاهل بالدهر والناس

وقد نسي ان اكثر الناس على مذهب جرير حيث قال

فانت ابي ما لم تكن ليَ حاجة فان عرضت ايقنتُ ان لا ابالیا

وقد اتعظوا بقول الرضي الموسوي القائل

لا تدنينَّ موَّار بين دهوتهم يوم الظعان فسوَّقوك الى الغدِ

قذفوك في غمائها وتباعدوا عنها وقالوا لم لنفسك واتعد
قطع الزمان قبال نعلك فاتخذ اخرى لتلبسك من العار وجدد

والمنصف يرى ان دول اوربا التي يعدّها الدكتور شميل مسؤولة قد وارت الدولة العلية ودافعت عنها اكثر مما ينتظر منها . نعم انها خدمت بذلك مصلحتها ايضاً ومن لنا بمن يخدمنا ويخدم مصلحته دواماً . وهل يحق لنا ان نطلب من احد معونة تضرّ بمصلحته وان فعل فيكون جانياً على نفسه . وكيف نستسهل تعرّض دولة لدولة عفواً ونحن يرى الواحد منا جاره يعتدي على قريبه فلا يستطيع ان ينتهره . وهل كنا نرضى ان ترى دول اوربا تتفق على خلع عبد الحميد قوة واقتداراً وترسل جنودها فتحتل الاستانة كما احتلّت بكين عاصمة الصين . وما ادرانا ان ذلك كان يتم من غير ثورة تعمّ البلاد العثمانية كلها وحرب اهلية تسفك فيها دماء الالوف والملايين

انا لا نبرىء الدول من السعي وراء مصالح رعاياها ولكن من يلومها على ذلك مادامت هذه الدنيا دار جهاد وعراك وقبل ان نبلغ عصر التضامن الانساني الشامل الذي يشير اليه الدكتور شميل . اما اللوم كل اللوم فعلى العثمانيين انفسهم الذين كانوا يرون الخلل في الحكم الحميدي ويصبرون على الضيم صبر الاذلّين . الخيانة الكبرى على عبد الحميد وعلى الذين شاركوه في سوء احكامه واللوم الاكبر على الذين رأوا الخلل واغمضوا عيونهم عنه . وليس من المروّة تحميلنا بالدول الاوربية التي اضاعت اموالها ورجالها لتدفع عنا طمع الروس ولو كان في ذلك المصلحة الكبرى لها

وانا نخشى ان يتذرع كتّابنا بعبارة الدكتور شميل في تبرئة حكامنا من المذابح والمنكرات والقاء اللوم فيها على عاتق الدول الاوربية فيضحك المستبدون منا في كمهم ونبقى حيث نحن

وكلامنا هذا لا ينفي التضامن الانساني متى جاء وقته وصارت ممالك الارض مملكة واحدة او ولايات يديرها مجلس واحد يحكم بينها بالعدل والانصاف ويعرف كل احد ما له وما عليه فلا يعتدي على غيره . احلام قد يحققها ابناء ابناء ابنائنا بعد احقاب كثيرة اما نحن فنموت ولا نرى غير هذا الشارع والكلاب

وفي نظر الصادي الى الماء حسرة اذا كان ممنوعاً سبيل الموارد